من بلاغة التنكير في الحديث النبوي الشريف

د. نعم هاشم الجمّاس
جامعة الموصل/ كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٧/٧/١٨ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٧/١٠/١٧

ملخص البحث :

يوظف أسلوب التنكير في أنساق أحاديث نبي البلاغة ﴿ﷺ﴾ ليكشف بأغراضه ودواعيه عن المضامين الشريفة التي قصدها نبي البلاغ ﴿ﷺ﴾ وأراد إبلاغها اعتماداً على مهمته الإبلاغية ووظيفته النبوية في دعوة الناس أجمع إلى التمسك والعمل بها لكونها الأسس والدعائم العظام للشريعة التي اعتنقها المبلغون بطريق الوحي المتلو وغير المتلو ، وقد تسبّق توظيف الأسلوب ببيان الرابط الدلالي ما بين أصل وضعه في اللغة وبين كونه مصطلحاً بلاغياً ومفهوماً من مفاهيم علم المعاني ، وقد تواشجت الأسماء المنكرة مع الأساليب البلاغية الأخرى المبوبة في أبواب البلاغة الثلاثة – المعاني والبيان والبديع – لتبرع في دلالاتها البلاغية ولنرى وجهاً آخر من أوجه براعة بلاغة النبوة التنكيرية بتضافر غرضين أو أكثر في اللفظ المنكر لتبيان المناهج النبوية الرامية إلى بناء الأنموذج الإنساني الإسلامي الأمثل .

Eloquence of in-definition in the Prophetic Tradition (Hadith)

Dr. Ne'am Hashim Al-Jammas
University of Mosul/College of Education

Abstract:

Style of in-definition is applied in the patterns of the eloquent prophetic traditions in order to unveil the sharif significances that the Prophet of eloquence (PBUH) wanted by its objectives and aims and according to what his proclaiming duty and prophetic job require. He asked all people for following them because they are the great bases and pillars of Sharia (Islamic Law) professed by informers by recited and un-recited inspiration. Showing the significant link between placing it in the language and being eloquent idiom and one of semantics concepts was followed by applying the style. Indefinite nouns were interrelated with

other eloquent styles divided into three eloquent sections: semantics, rhetoric and science of figures of speech, in order to excel in their eloquent significances and to see another aspect of excellent in-definition prophetic eloquence. This can be achieved by combining two aims or more in the indefinite saying to show the prophetic ways that aim to construct the perfect Islamic human pattern.

تقديم :

التنكير لغة :

جاء في اللسان "نكر : النُّكْرُ والنَّكْرَاءُ : الدهاءُ والفِطنة . ورجلٌ نَكِرٌ ونَكُرٌ ونُكُرٌ ومُنْكَرٌ من قومٍ مناكير : داهٍ فَطِنٌ ، والنُّكْرُ والنُّكُرُ : الأَمر الشديد ... وقد نَكُرَ الأَمر ، بالضم، أي صَعُبَ واشتدَّ ... والنَّكِرَةُ : إنكارك الشيء ، وهو نقيض المعرفة . والنَّكِرَةُ : خلاف المعرفة ونَكِرَ الأمرَ نكيراً وأَنْكَرَهُ إِنْكَاراً ونُكْرَاً : جهله ... ويقال أَنْكَرْتُ الشيء وأنا أُنْكِرُهُ أَنْكَاراً ونَكِرْتُه مثله... والإِنْكارُ : الاستفهام عما يُنْكِرُهُ ... والإِسْتِنْكَارُ استفهامك أمراً تُنْكِرُهُ... والتَّنَكُّرُ : التَّغَيُّرُ : عن حالٍ تَسُرُّك إلى حالٍ تَكْرَهُها منه ، والنَّكِيرُ : اسم الإِنْكارِ الذي معناهُ التغيير . وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ [1] أي إنكاري . وقد نَكَّرَهُ فَتَنَكَّرَ أي غَيَّرَهُ فَتَغَيَّرَ إلى مجهول ... والتَّنَاكُرُ : التَّجاهُلُ . وطريقٌ يَنْكُورٌ : على غير قصدٍ " [2] وبالنظر البلاغي إلى لفظ التنكير في مرجعيته المعجمية يمكن استنتاج الملاحظ الآتية :

١. إنه الأسلوب البلاغي المنتمي إلى علم المعاني الذي يتطلب من الدارس إعمال الفكر لاستنتاج الدلالات البلاغية التي يدل عليها اللفظ المنكر وهذا يتطلب تفطن البلاغي واعتماد ذائقته البلاغية لمعرفة الأغراض التنكيرية المستقاة من تموضع اللفظ في سياقه .
٢. لا يدل اللفظ المنكر على شيء معين وبذلك يخالف اللفظ المعرف الدال على شيء معين ، ومن هذا المنطلق تنشأ العلاقة ما بين المعنى اللغوي ... (نَكِرَ الأَمرَ : جهله ...والتَّناكُرُ : التَّجاهُلُ ... وطريق يَنْكُوُرٌ : على غير قصدٍ ...) والمعنى البلاغي الكامن في دلالة اللفظ المنكر على العموم والخصوص والتكثير والتقليل ... وغيرها من الأغراض .

---

(١) سورة الحج ، الآية ٤٤

(٢) لسان العرب مادة (نكر) ٢٨١/١٤-٢٨٢

٣. تكون مهمة البلاغي البحث عن دلالة التنكير للفظ المنكر الذي لابد من أن يندرج في السياق اللغوي بأنواعه المتعددة ... القرآني والنبوي ثم الشعري والنثري في النصوص العربية .

٤. قد يصعب الأمر على دارس المصطلح البلاغي ويشتد عندما يكون اللفظ المنكر متغايراً في معانيه البلاغية ، ولما كانت بلاغة اللفظ أو الكلام مطابقته لمقتضى الحال فقد يدل اللفظ – من منظور بلاغي معين – على التعظيم ويدل اللفظ ذاته – من منظور بلاغي آخر – على التكثير ، ونلحظ التغاير المذكور في المرجعية المعجمية للأسلوب البلاغي عندما يشي اللفظ المنكر بغرضين أو أكثر وبمعونة السياق والمقام .

التنكير اصطلاحاً :

كل اسم دلَّ على غير معين [١] ، وله دواعٍ متعددة ومتنوعة يدل عليها المسند والمسند إليه وهي مغايرة لدواعي الألفاظ المعرفة بحسب ما يستبان من مقولة ابن الزملكاني : " وقد يظن ظان أن المعرفة أجلى فهي من النكرة أولى ، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق وأن سلوك الإيضاح ليس بسلوك للطريق خصوصاً في موارد الوعد والوعيد والمدح والذم اللذين من شأنهما التشييد ، وعلة ذلك أن مطامح الفكر متعددة المصادر بتعدد الموارد ، والنكرة متكثرة الأشخاص يتقاذف الذهن من مطالعها إلى مغاربها وينظرها بالبصيرة من منسمها إلى غاربها فيحصل في النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة . وهذا فيما ليس لمفرده مقدار محصور بخلاف المعرفة فإنه لواحدٍ بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه " [٢] ، ويفصح البلاغيون القدامى والمحدثين عن المبررات البلاغية لتنكير المسند إليه وهي :

١. **الإفراد** : إذا كان القصد أن المسند إليه فرد غير معين من أفراد جنسه كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [٣] .

٢. **النوعية** : إذا كان القصد أن المسند إليه ذو نوع متميز خاص مغارق ومختلف عن الأنواع المعروفة المعهودة نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء ﴾ [٤] .

٣. **التعظيم والتفخيم** : إذا كان القصد تعظيم المسند إليه وتفخيمه كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [٥] .

---

(١) ينظر : جامع الدروس العربية ١٥٢/١

(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ١٣٦

(٣) سورة غافر ، الآية ٢٨ وينظر : الإيضاح ٤٦/١

(٤) سورة النور من الآية ٤٥ وينظر : شروح التلخيص ٣٤٧/١

(٥) سورة هود ، الآية ١٠٣ وينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٢٨٦/٢

٤. **التحقير** : إذا كان القصد تحقير المسند إليه نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ [١] .

٥. **التكثير** : والقصد حسبما يقتضي المقام في السياق القرآني تكثير المسند إليه كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [٢] .

٦. **التقليل** : والقصد إرادة معنى تقليل المسند إليه نحو قوله تعالى : ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٣] .

وأما أغراض تنكير المسند فإنها تكاد تكون الأغراض ذاتها الناتجة عن تنكير المسند إليه [٤] ، وفي الحديث النبوي الشريف تبدو أغراض التنكير وفوائده البلاغية الآنفة الذكر فضلاً عن أغراضٍ ومبررات بلاغية أخرى يدل عليها اللفظ النبوي المنكر في سياقه الشريف وبما يستفاد من المقام ومقتضى الحال اللذين يحددان المعاني البلاغية لألفاظ التنكير النبوية وهذا ما سيبدو جلياً من خلال تحليل نصوص من الحديث النبوي فيما يأتي :

أولاً: * دلالة تنكير لفظ (الفتن) على التهويل والتفخيم والتحذير والترهيب والتكثير وقصد النوعية.

*** دلالة تنكير لفظي(المؤمن والكافر) على التحقير والتحذير .**

*** دلالة تنكير لفظي(العرض وقليل) على التقليل.**

عَنْ أَبِي موسى الأشعري ﴿رضي الله عنه﴾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ وَسَلَّمَ قَالَ : (تكون بين يدي الساعةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيها مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ويُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قليل) [٥] .

في الهدي النبوي صورة من صور أهوال البعث ومنظر مخيف مروع من مناظر فناء الدنيا عندما تزف الآزفة وتقرع القارعة وتبدو علامات الفناء الدنيوي وأحداثه الجسام بظهور الفتن العصيبة لاسيما فتنة بيع الدين النكراء .

ويفصح أسلوب التنكير في الحديث الشريف عن ماهية تلك الفتن التي هي في أصلها جمع فتنة والمراد بها الامتحان والاختبار [٦] ، وحقيقتها في المتن الشريف كامنة في المحنة

---

(١) سورة البقرة من الآية ٩٦ وينظر : علم المعاني ١٢٥

(٢) سورة القلم ، الآية ٣ وينظر : معاني النحو ٤٣/١

(٣) سورة التوبة ، من الآية ٧٢ وينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى ٢٣٤

(٤) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ٢٨٧ وعلم المعاني ١٢٦

(٥) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ٦٣٨ ورقمه ٢٢٠٠

(٦) ينظر : المعجم الوسيط مادة (فتن) ٦٨٠/٢

والعذاب والشدة وكل مكروه كالكفر والإثم والفضيحة والمصيبة [١] ، وهذا ما تجليه الفتنة السوداء ، والتنكير في لفظها المجموع أفاد معاني التهويل [٢] والتفخيم والتحذير والترهيب من أن ينقلب المرء ما بين عشية وضحاها من الإيمان إلى الكفر ومن الهدى إلى الضلال ومن النور إلى الظلام ، ولعل الإخبار باللفظ المنكر ومجيئه بعد فعل (الكون) يفيد تحقق الفتنة في الدين وغيرها من الفتن إذا ما حانت الساعة واقتربت[٣] فيصاب المفتون بأعظم المصائب وأفدح الفضائح وأقوى الإنتكاسات إذ لا مصيبة أعظم من خسارة الدين والإيمان [٤] ، ولعل تخصيص لفظ (الفتن) بشبه الجملة التشبيهية الوصفية يزيدها هَوْلاً وشدة إذ وصفت بكونها فتناً سوداء موغلة في مهاوي الطغيان والكفر والانحراف عن جادة الصواب وعن طريق الحق وعن مسلك الاستقامة وهي فتن مظلمة بآثارها الموجلة [٥] كظلمة الليل المهيب المتناوب في حلوله قطعاً تملأ أرجاء الكون الفسيح وكذلك الفتن المذهلة تملأ أرجاء الأرض وتشمل جميع البشر ، وتبدو فائدة اللفظ المنكر بمعونة مقامه وسياقه التي تدعو الخلق جميعاً وتحثهم على التأهب والاستعداد لمقاومة تلك الفتن لاسيما فتنة الدين وذلك بالتمسك بأمر الله ورسوله ﷺ في الحفاظ على أركان الدين وأن يكون عملهم الدائم المستمر موصوفاً بالصلاح وكل ما هو من الفضائل ، ويبدي اللفظ المنكر غرضاً آخر من أغراضه ومكمنه كثرة فتن الساعة فضلاً عن دلالة نبوية أخرى تكمن في أن الفتن متميزة في نوعها وفي أهوالها ومصائبها ومحنها إذ لا نظير لها بل لا موازنة بين إماراتها المدهشة وبين إمارات الدنيا وما فيها من محن ومصائب ونوائب متلاحقة ، ولكونها من الأمور الغيبية التي لا يعلم ميقاتها إلا الله جل وعزّ فقد بدا هذا الغرض التنكيري واضحاً في النظم النبوي ، وتتوالى مبررات التنكير البلاغية وتبرع في صورة المرء الذي يميل مع هواه ويفضل متاع الدنيا وإن زهد ويلتذ باللذة الدنيوية وإن كانت عابرة ومن أجلهما يبيع دينه بذلك العرض البخس القليل الحقير وقد بلغ حرف الجر في قوله ﷺ (مِنَ الدُّنْيَا) ليساند دلالة التنكير ثم تقوى الدلالة التنكيرية مرة أخرى بتنكير لفظ (القلة) الدال على معناه وبتخصيص ذلك العرض بالوصف المنكر البليغ ، ويدل التقابل في البنى النبوية الضامة لألفاظ التنكير (مؤمناً ، كافراً) على تلك الحالة الازدواجية التي يتذبذب فيها المرء ، وتخصيص اللفظين المنكرين بالأوصاف المذلة المهينة يجعل المرء يصبح مؤمناً كاذباً ويمسي كافراً عنيداً أو يصبح كافراً عنيداً ويمسي مؤمناً كاذباً ، وتروع الألفاظ المنكرة المتقابلة في إبداء داعي تنكيرها المركوز في

---

(١) ينظر : كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن ١١٧

(٢) ينظر : الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ٤١٥

(٣) ينظر : معاني النحو ٢٣٢/١

(٤) ينظر : من كنوز السنة ٢٨-٢٩

(٥) ينظر : شرح الطيبي ٦٥/١٠

تحقير ذلك المرء لضعف إيمانه وتزعزعه في يوم يتطلب منه الثبات على الحق وعلى الإيمان وعلى اليقين بالله تعالى وحسن الظن به سبحانه عما يصفون . وليروع التنكير في غرضه الدال على تحذير المؤمنين من الحالة المتذبذبة ومن بيع الدين بعرض زهيد .

ثانياً: * دلالة تنكير لفظ (بضع) على التكثير .

*** دلالة تنكير لفظ (شعبة) على التكثير والتعظيم والإفراد وقصد النوعية والحث والتشويق والترغيب.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿رضي الله عنه﴾ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ وَسَلَّمَ (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ) (١) .

في هذا الدين العظيم الذي جاء به الصادق المصدوق ﴿ﷺ﴾ آداب اجتماعية ومثل إنسانية وأخلاق رفيعة تجعله مفخرة الأديان ورائد التشريعات السماوية والنظم الأرضية ... إنه دين الآداب والأخلاق والفضائل والكمالات (٢) .

وفي النظم النبوي بدا أسلوب التنكير في لفظ (بضع) الدال على العدد المحدد من "ثلاث إلى تسع" (٣) ، وبانضمامه إلى العدد (سبعون) أو (ستون) ينجلي داعي التنكير وهو تكثير شعب الإيمان ليكون الداعي ذاته في تنكير لفظ (شعبة) المنبثق من مدخله اللغوي الدال على (القطعة) (٤) وهو مستعار للدلالة على الخصلة الإيمانية (٥) ، وبذلك يبرع المدلول التنكيري في بيان ثمرات ثمرات الإيمان وخصاله المتكثرة المتنوعة الشاملة لأبواب الشريعة ولأعمالها الشرعية (٦) ، وتفضل الدلالة التنكيرية لإيمائها إلى كمال الإيمان بأداء أعماله كاملة وتنفيذ الطاعات تامة ، والحث والحض على ضرورة التزام الطاعات في ضم الشعبة إلى الشعبة من جملة التصديق بالقلب واللسان الذي هو حقيقة الإيمان (٧) ، وقد تفصح دلالة تنكير اللفظين عن فائدة بلاغية مكمنها تعظيم شعب الإيمان وخصاله وتعظيم المتصف بها ذلك أنها ترجع إلى أصل شرعي

---

(١) صحيح مسلم ٨٨/٢ ورقمه ١٥٢

(٢) ينظر : من كنوز السنة ٨٧

(٣) فيض القدير ٢٣٩/٣

(٤) المعجم الوسيط مادة (شعب) ٤٨٦/١

(٥) ينظر : من كنوز السنة ٨٧

(٦) ينظر : شرح صحيح مسلم ٨٨/٢

(٧) ينظر : شرح صحيح مسلم ٨٨/٢

واحد وهو تكميل النفس بصلاح المعاش المؤدي إلى تحسين المعاد واعتقاد الحق والاستقامة في العمل [١] ، ولذا أنبأ خير الأولين والآخرين ﴿ﷺ﴾ بأفضلها وأعلاها (قول لا إله إلا الله) وما تشعر به الخصلة من توحيد الله وهو دعامة الإسلام الأولى التي لا تصح شعب الإيمان كلها إلاّ بعد صحة الشعبة الفضلى المتعينة على كل مكلف [٢] ، وأدنى مراتب الإيمان إزالة الأذى عن طريق المسلمين ونبي الآداب ﴿ﷺ﴾ يجعلها – وإن دنت – من تمام العقيدة ومكارم الأخلاق وإن خف المؤذي وحقر كشوك أو خبث أو حجر ، ومن هذا المنطلق يستبان الوجه الشرعي لدنوها [٣] ، والحياء متوسط المرتبة بدلالة السياق الشريف وقد جعله نبي الخلق العظيم ﴿ﷺ﴾ بين المرتبة الأعلى والأدنى ليبلغ في تنكير شعبته المستأثرة الفضلى ولعل توسطها ما بين خصلتي التوحيد وإماطة الأذى مكمنه أنها شعبة الطهر من الرجس والآثام وأنها شعبة عظيمة لتخصصها بجملة الجار والمجرور (من الإيمان) الدالة على أن الحياء هو الإيمان بعينه والإيمان هو الحياء ، وقد يدل الدال التنكيري على انفراد الخصلة الإيمانية بالذكر لتكون المتميزة في نوعها التي يستحصل بتحققها ثواب المسلم والدلالة التنكيرية تجعل ثواب الاستحياء عظيماً مفاضلة مع غيره من الثواب المتأتي من تأدية خصال الإيمان المتفاوتة [٤] . ذلك أن الاستحياء يعصم من ارتكاب ارتكاب المعاصي[٥] ، لأنه دال في أصل وضعه في اللغة على تغير وانكسار[٦] يعتري الإنسان الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه أو انحصار النفس خوف ارتكاب القبائح وتبلغ دلالة الحياء في شريعة الرحمن لكونها شعبة وخلق باعث على اجتناب المنكر مانع من التقصير في حق ذي الحق ومما يزيد الخصلة عظمة إيمان الحيي أن يخاف فضيحة الدارين فينزجر عن كل موبقة ويمتثل لكل طاعة ، وتعظيم رتبة الحياء ورفعتها وتميزها وانفرادها بالغ تمام البلاغة إذا ما تحقق الحياء من الله عز وجل الناشئ من مراقبة ثابتة للحق والمعرفة به سبحانه وتلك هي أجل مقامات الحياء [٧]، ويروع المدلول التنكيري التعظيمي إذا ما تسبّق الحياء الإيماني المكتسب بحياء النفس المخلوق في الجبلة ليتضافر النوعان على تحقيق معلم من معالم الإيمان حائل دون اقتراف الذمائم من الأقوال والأفعال فليس الإيمان إلاّ أن لا يخرج المسلم عن فعل المأمور به

---

(١) ينظر : دليل الفالحين ٣٥٦/١

(٢) ينظر : م.ن ٣٥٨/١

(٣) ينظر : م.ن ٣٥٨/١

(٤) ينظر : من بلاغة القرآن ١٢٨

(٥) ينظر : المعلم بفوائد مسلم ١٩٦/١

(٦) ينظر : المعجم الوسيط مادة (حي) ٣٥٤/١

(٧) ينظر : دليل الفالحين ٣٥٨/١

واجتناب المنهي عنه [١] ، ويحسن الأسلوب البلاغي بإيمائه إلى "ترغيب وتشويق" [٢] وحث المؤمن على التوصف بخصال الإيمان أجمع ولاسيما بخصلة الاستحياء لأن الحياء لا يأتي إلاّ بخير .

ثالثاً: * دلالة تنكير لفظ (القوم) على التحقير والإستهزاء والإفراد

*** دلالة تنكير لفظ (السياط) على التخويف والتهويل والتكثير**

*** دلالة تنكير الألفاظ (نساء كاسيات عاريات) على التحقير والإستهزاء والإهانة ودنو الشأن.**

*** دلالة تنكير لفظي (المائلات المميلات) على التحقير والإغراء**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿رضي الله عنه﴾ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ وَسَلَّمَ : (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا) [٣].

وهذه فتنة أخرى من فتن الدنيا التي نشهد صورها في وسط شاذ من أوساط المجتمع العربي ... وسط متحضر متطور متقدم لاسيما بنسائه داعيات التقدم والتطور الفاسد المفسد... المتحللات الكاسيات العاريات المائلات المميلات رافعات شعارات التبرج والسفور والفجور... إنها الفتنة التي تثبت معجزة النبوة في إنبائها عن صنفين من أهل النار .

وفي البيان الشريف ينَكّر نبي المعجزات ﴿ﷺ﴾ الصنف الأول من أهل النار المتمثل في قوله ﴿ﷺ﴾ (قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ) وهو تنكير : التحذير والتخويف من أن يُتشبه بهم وتنكير التحقير والاستهزاء بالظلمة الجبابرة الذي يعتدون على خلق الله وعباده بالضرب والإهانة والتعذيب والتنكيل لا عن استحقاق بل لمجرد حب التعالي والظهور وإشباع نفوسهم المتعطشة إلى سفك الدماء وتعذيب الأبرياء [٤] وقد يكون المبرر البلاغي لتنكير القوم الذين سيعذبون عذاب الحريق هو إفرادهم لأنهم فرد معين من أفراد جنسهم من أصحاب النار ، ولعل تخصيصهم الوصفي بجملة (معهم سياطٌ) أدل في تفردهم بالظلم العظيم وداعي تقديم حرف الجر المتصل بضمير المجرمين على لفظ السياط المبالغة في التهويل من فعلهم الآثم وهم

---

(١) ينظر : م.ن ٣٥٨/١

(٢) ينظر : من كنوز السنة ٨٩

(٣) صحيح مسلم ٢٣٥/٧ ورقمه ٥٥٤٧

(٤) ينظر : من كنوز السنة ١١٣

يعتدون على الناس بسياطٍ غليظةٍ كثيرة – بدلالة تنكيرها – تروع العباد وتزداد ترويعاً وتهويلاً بتشبيهها بأذناب البقر في سمكها ومتانتها وقوتها وفي قسوتها والمها الشديد [١] ، ومما يزيد موقف الظلمة هولاً ورعباً تخصيص تنكير السياط بجملة الوصف الفعلية الماثلة في قوله ﴿ﷺ﴾ (يضربون بها الناس) [٢] لتدل على استمرار وتكرر الفعل الشنيع الذي تُظلم به العباد ، وصورة هؤلاء الغادرين نراها حية مشهورة ومشهودة في هذا الزمان وهم يجورون بالأحكام الضالة ويظلمون ويقتلون وينسون أن الله تعالى سيعذب المُعذِبين وأبدى ما تكون دلالة تنكير الصنف الثاني تحقير الفاجرات الماجنات والاستهزاء بالمقلدات للمنسلخات من لباس العفة والحياء من نساء مجتمعات الغرب الكافر[٣] اللواتي أوغلن في سقط الغيرة وبيع الشرف وذهاب العفاف ونبي الأمة ﴿ﷺ﴾ يحذر بداعي التنكير نساء الإسلام من تقليدهن واتباع فعلهن المخالف لتعاليم الدين وآداب الإسلام ومما يبرع به المدلول التنكيري وصف نساء الفجور بالأوصاف التي تزيدهن إهانة وتحقيراً وهواناً وضعة ودنو شأن وهي أوصاف بالمتطابقات والمتضادات من ألفاظ النبوة التي تبلغ في بيان أوجه الفساد والإفساد في نسق نبوي إيقاعي يظهر فيه داعي السجع فداحة فعل المنغمسات الذائبات في بوتقة حضارة الغرب الشيطانية وهن كاسيات في ظاهر الأمر ولكنهن في الحقيقة عاريات[٤]، لأنهن كاسيات بلباس الزينة عاريات من لباس التقوى وهن كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير يسترن بعض بدنهن ويكشفن بعضه إظهاراً للجمال ، وهن يلبسنَّ لباس الكافرات الرقيق الذي يصف لون أبدانهن وثيابهن ضيقة تصف عوراتهن وقد أرسلن شعورهن على مناكبهنَّ غير آبهات ولا مكترثات لجرمهن الذي يفتن الرجال [٥] ، وتتوارد الأوصاف المنكرة لتضيف فضاعة أخرى فقد وصفهن نبي الآداب ﴿ﷺ﴾ بالمائلات المميلات وفي ذلك غاية الإمعان في الإغراء وإبداء الزينة وإظهار الفتنة على أوجها لأنهن بأوصافهن المهينة زائغات عن الطاعة متبخترات في المشية وهن مائلات للرجال مميلات قلوبهم إلى الفساد وهن مميلات بأكتافهن وأكفالهن مميلات في ترغيب غيرهن بفعلهن الفاحش ، وقد أوغلن في رغبتهن النكراء بترك الحياء [٦] .

ولعلنا نصيب بعد هذا التحذير النبوي البليغ إذا ما استنتجنا ناتجاً بلاغياً آخر لتنكير لفظ النساء وبمعاضدة المقام وهو التقليل فهؤلاء النساء هم نساء قلة ونساء ندرة لأنَّ النبي المربي

---

(١) ينظر : م.ن ١١٣

(٢) ينظر : م.ن ١١٢

(٣) ينظر : كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن ١١٠

(٤) ينظر : المعلم بفوائد مسلم ٢٠٤/٣

(٥) ينظر : شرح صحيح مسلم ٢٣٥/٧

(٦) ينظر : فيض القدير ٢٧٤/٤

﴿ﷺ﴾ قد علّم نساء الإسلام تعاليم دينهن الحنيف وفقههن بفقه لباس المرأة المسلمة وهيئتها هيئة الرزانة والتوقر والأدب والخلق الرفيع .

رابعاً: * دلالة تنكير لفظي (الدرهم والمتاع) على التقليل .

*** دلالة تنكير الألفاظ (الصلاة والصيام والزكاة) على التقليل والتخسير والتحذير وقصد النوعية .**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿رضي الله عنه﴾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) [1] .

وهذه دعوة نبوية هادية يدعو فيها نبي الهداية ﴿ﷺ﴾ كل مؤمن من أمة الإيمان إلى معرفة حقيقة الإفلاس ... هي دعوة لنبذ عادات الجاهلية وفعالها الضالة التي يحرم أن تجتمع في خلق المسلم وأفعاله وأقواله التي ينبغي أن تتسم بفاضل الأفعال والأقوال فلا سب لأي امرءٍ لأن سبابه فسوق ولا قذف بالفاحشة ولا إراقة للدماء لأن قتال الناس بغير ذنب كفر وتعذيبهم والتنكيل بهم طريق إلى السعير .

ونلحظ أسلوب التنكير واضحاً في لفظي (درهم) و(متاع) اللذين كونا الدلالة الوهمية ذلك أن الإفلاس بحسب عرف الناس هو كل ما انتفى الإنتفاع به من عروض الدنيا قليلها وكثيرها [2] ، ومن منطلق ذلك يكون داعي التنكير التقليل [3] ، ومما يتسق مع دلالة تنكير الاسمين مجئ لفظ الدرهم على سبيل المجاز المرسل بعلاقة الكلية لأنه ﴿ﷺ﴾ ذكر البعض وأراد الكل فعبر بالدرهم عن كل ما يملكه المرء من الأموال ولعل ما يساند دلالة الإفلاس الوهمي التي دل عليها دالا التنكير ، تكرار النفي بـ (لا) ليكنى بالدالين المنفيين عن الخسران الظني الوهمي وهو في حقيقة أمره ليس خسراناً أو إفلاساً لإمكانية زواله وانقطاعه بموت المفلس وربما يزول وينقطع

(١) صحيح مسلم ١٨٨/٨-١٨٩ ورقمه ٦٥٢٢

(٢) ينظر : من كنوز السنة ١٧٩

(٣) ينظر : الطراز ١٢/٢

بيسار يحصل للمفلس في حياته [١] ، ويبرع الأسلوب البلاغي في تبيان دلالة الإفلاس الحقيقية التي أنبأ بها نبي الرحمن ﴿ﷺ﴾ إذ ينظر إلى الإفلاس من منظار شرعي أوغل وأعمق لأنه ﴿ﷺ﴾ يهتم بالواقع لا بالمظهر ويدعو أتباعه من أمته إلى التفكر والتدبر في حقيقة الخسران فالمفلس الحقيقي هو من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وقد ضاعت حسناتها وذهب ثوابها للمجنى عليهم والمغرر بهم الذين لاقوا أعتى أنواع الأذى من المفلس الحقيقي وتنكير أركان الإيمان أدعى إلى أن يفرز ناتج التقليل والخسران لتلاشي الحسنات وضياع الأجر وفقدان الخيرات المتأتية بطريق تنفيذ مبادئ الأركان ولوازمها ويشعر تنكير الألفاظ بالتحذير من تعذيب العباد وإهانتهم وظلمهم وأكل أموالهم سحتاً وبغير حق ، ولعل براعة نظم الأسماء المنكرة مما يعاضد المدلول التخسيري التقليلي ، إذ أن تقديم وتأخير الأركان الإسلامية منبعث من أهمية أداء كل منها ، وسبقها بحرف الجر أفاد التبعيض المساند للدلالة التقليلية [٢] ، فضلاً عن أن الألفاظ المنكرة ذات معانٍ كنائية عن الخسران الحقيقي واجتماعها في السياق النبوي أدعى إلى الإشعار بالهلاك والإفلاس الحقيقي لأنها الأركان التي اجتمعت مع جمع السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات والإسراع إلى المخالفات وظلم خلق الله تعالى ، وفي هذه الحالات ينتج التنكير ناتجاً بلاغياً آخر مكمنه تميز الصلاة والصوم والزكاة بأنها من نوع خاص من أفراد جنسها [٣] ، لأن المصلي أو الصائم أو المزكي لم تنهه صلاته وصومه وزكاته من فعل المحرمات ولم تعصمه وتمنعه من الوقوع في الزلل والترذل بالرذائل ولم تجنبه السوء والفحشاء وإيلام الناس ، وتحسن نواتج التنكير الأُخر ومنها : الحث على أداء العبادات الإسلامية مع ما تستلزمه من الكف عن إيذاء المسلمين والتحذير من مغبة التشبه بالمفلس الحقيقي لأن التشبه به يعني الطرح في النار .

(١) ينظر : شرح صحيح مسلم ١٨٩/٨

(٢) ينظر : معاني الحروف في القرآن الكريم ٤٤

(٣) ينظر : خصائص التراكيب ١٦٤

خامساً: * دلالة تنكير لفظ (الهدى) على الحث والترغيب والتكثير والتعظيم .
*** دلالة تنكير لفظي(الأجور والآثام) على التكثير .**
*** دلالة تنكير لفظ (الضلالة) على التحذير والترهيب والتحقير والهوان.**
*** دلالة تنكير لفظ (الشيء) على التكثير .**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿رضي الله عنه﴾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴿ﷺ﴾ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) [١] .

وهذا هدي نبوي موضح للتباين والتمايز بين دعوتين مآلهما مربح أو مخسر فالداعي بالدعوة الأولى قد سنَّ في الإسلام سنة حسنة بنقيض الداعي بالدعوة الثانية فإنه يسنّ السنة السيئة [٢] ، وشتان ما بين السنتين .

بناء على ما تقدم نلحظ في المتن النبوي الشريف دلالتين تنكيريتين متطابقتين بدالتيها متضادتين (هدى ، ضلالة) : فالدلالة الأولى مكمنها الترغيب والحث على دعوة الهداية بكل ما تتطلبه وتستلزمه من الإرشاد إلى فعل الخير العظيم الكثير [٣] ، ومن هذا المنطلق الدعوي تكون الدعوة الصالحة ذات سبل متعددة متنوعة [٤] كثيرة [٥] ، والنظم الكريم مشعر بتعظيم الداعي الهادي وتعظيم دعوته الصالحة لأنه داعٍ إلى هدى عظيم وأعظمه الدعوة إلى الله تعالى ومزاولة العمل الصالح بأنواعه المختلفة التي بفعلها يعم الخير ويسترشد العباد إلى ما فيه صلاحهم ونفعهم إلى يوم الدين [٦] ، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق [٧] أما الدلالة الثانية : فمكمنها الترهيب والتحذير من دعوة الضلالة ذات السبل الشيطانية الغاوية المتعددة المتنوعة الكثيرة وما تتطلب من ارتكاب عظام الذنوب وكثير الموبقات والنظم الشريف بليغ في الكشف عن معاني تحقير الداعي بدعوة الشيطان وتحقير دعوته الضالة لأنه يدعو إلى كل ما يسوء من الأعمال فتكون دعوة الخزي والهوان والإذلال الساعية بالداعي والمدعو إلى السعير ولا جرم أن الغايتين الدعويتين متفارقتان متناقضتان على الرغم من توحد الحرف الدال على الغاية (إلى) المتكرر في

---

(١) صحيح مسلم ٢٧٢/٨ ورقمه ٦٧٤٥
(٢) ينظر : شرح صحيح مسلم ٢٧٢/٨
(٣) ينظر : دليل الفالحين ٤٤٨/١
(٤) ينظر : كشف السرائر ٢٦
(٥) ينظر : معاني النحو ٤٣/١
(٦) ينظر : فيض القدير ١٦٧/٦
(٧) ينظر دليل الفالحين ٤٤٨/١

سياقين نبويين متباينين الدلالات [١] ، ولعل ما يتسق مع مبررات التنكير البلاغية تمحور اللفظان المنكران في جملتين اسميتين (مَنْ دعا إلى هدى ... ومن دعا إلى ضلالة ...) مفيدتين إثبات المضامين الشريفة ثم تخصيص الاسمين المنكرين بالوصفين المتقابلين فالهدى المستقيم يقابل الضلالة المنكرة ، والنسق التقابلي التشبيهي يجعل الثواب والمفاز في مقابل الجزاء والعقاب ويتآزر التشبيه النبوي مع تنكير (الأجور والآثام) لإفراز دلالة تكثيرها فداعي الهدى والصلاح يكافأ بالأجور المتكثرة المستحصلة بطريق كثرة التابعين وكثرة أجورهم ولا ينقص منها شيئاً وفي ذلك "دفع لما يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون بالتنقيص من أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي"[٢]، وأما داعي الضلال فسيعاقب بالآثام المستكثرة المتأتية بطريق دعوته المنكرة ومن كثرة تابعيه وكثرة آثامهم ولا ينقص منها شيئاً[٣]، واللافت للنظر براعة النظم التقابلي الذي يجعل من تكرار لفظ (شيء) المنكر دال على المبالغة في تكثير الحسنات أو السيئات التي ينالها الداعي الهادي أو الضال ولاشك في أن الجزاء يكون دائماً من جنس العمل بما تعورف عليه في العادة .

(١) ينظر : معاني الحروف في القرآن الكريم ٢٤

(٢) فيض القدير ١٦٧/٦

(٣) ينظر : شرح صحيح مسلم ٢٧٢/٨

ثبت المصـــادر والمراجـــع

- الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشهير بالخطيب القزويني ، شرحه وعلق عليه ونقحه : محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٨م .
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم ابن الزملكاني ، تحقيق : د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب ، ط١ ، بغداد – العراق ، ١٩٧٤م .
- البلاغة العربية قراءة أخرى ، د. محمد عبد المطلب ، القاهرة – مصر ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
- جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، المطبعة العصرية للطباعة والنشر ، ط١٠ ، صيدا – بيروت ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م .
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، الإمام : أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ٢٠٩هـ-٢٧٩هـ) ، دار ابن حزم ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، د. كمال عز الدين ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
- خصائص التراكيب ، محمد أبو موسى ، القاهرة – مصر ، ١٩٧٩م .
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ، محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (١٠٥٧هـ) ، دار الفكر ، ط٣ ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن ، الإمام شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) ، اعتنى به وعلق عليه : أبو عبد الله محمد علي سمك ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- شروح التلخيص ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ويتضمن :
  - مختصر شعد الدين التفتازاني
  - مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي
  - عروس الأفراح لبهاء الدين السبكي
  - الإيضاح للقزويني
  - حاشية الدسوقي على شرح السعد
- صحيح مسلم بشرح الإمام المحدث الفقيه محي الدين النووي : يحيى بن شرف أبي زكريا الدمشقي الشافعي (٦٧٦هـ) المسمى :
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة العلوي اليمني ، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء ، بيروت – لبنان ، (د.ت)
- علم المعاني – دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢ ، القاهرة – مصر ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

- علم المعاني ، د. قصي سالم علوان ، البصرة – العراق ، ١٩٨٥م .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، العلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ، مكتبة مصر ، ط٢ ، القاهرة – مصر ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .
- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر ، ابن عماد ٨٨٧هـ ، تحقيق ودراسة د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، تقديم ومراجعة د. محمد سليمان داؤود ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية – مصر ، (د.ت) .
- كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن – رؤية لمستقبل العالم الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة، جمع وإعداد : محمود رجب حمادي الوليد ، دار ابن حزم ، ط١ ، بيروت– لبنان ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري ، القاهرة – مصر ، (د.ت) .
- معاني الحروف في القرآن الكريم ، الشريف قصار ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٤م .
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، ط١ ، بغداد – العراق ، (د.ت) .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، بغداد – العراق ، ١٩٨٧م .
- المعجم الوسيط ، أخرجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، مصر ١٩٦٠م .
- المعلم بفوائد مسلم ، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري ٥٣٦هـ–١١٤١م ، تقديم وتحقيق الشيخ : محمد الشاذلي النيفر ، دار العرب الإسلامي ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٢م .
- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، ط٤ ، القاهرة – مصر ، ١٣٧٠هـ– ١٩٥٠م .
- من كنوز السنة – دراسات أدبية ولغوية من الحدي الشريف – محمد علي الصابوني ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
- المنة الكبرى في النجاة من الفتن وذكر أشراط الساعة الصغرى والكبرى ، الشيخ : محمود الغرباوي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، دمشق – القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، رقمه وخرج أحاديثه على كتاب تيسير المنفعة : محمد فؤاد عبد الباقي ، اعتنى به وحققه : أبو عبد الرحمن عادل بن سعد ، دار ابن الهيثم، ط١ ، القاهرة – مصر ، ٢٠٠٣م .